د. محمد عامر المارديني

شهاوى

AUSTIN MACAULEY PUBLISHERS™
LONDON * CAMBRIDGE * NEW YORK * SHARJAH

الفصل الأول

في لمح البصر سقط هاني ذو الستين عاماً مِن العمر على الأرض وهو يتنفَّسُ بصعوبة بعد أن شخر شخيراً متبوعاً بصوت صفير حادٍّ كصفير ريحٍ عاتية، هُرِعَت زوجته لمى إلى جيرانها ترجوهُمُ الاتِّصالَ بالإسعاف لإنقاذ زوجها المتأرجِحِ بين الحياة والموت.

وعلى الفور حمل الجيران الزوج متكاتفين إلى سيّارة الإسعاف التي وصلَت في هذه الأثناء، وقام المُسعِفون بإضجاعه على السّرير المحمول، وزجُّوا به إلى بهوِ السيّارة التي تجمَّع عندها معظمُ الجيران ولفيفٌ مِن المارّة الذين استوقَفَهم فضولُهم قرب باب البناء.

دخلَتِ الزوجة إلى سيّارة الإسعاف وهي تجهش بالبكاء لترافقَ زوجها إلى المستشفى بالرَّغم مِن بوادر التحسُّن التي بدأَت تظهرُ عليه فاتحاً عينيه بعد غيبوبة قصيرة الأمد، فأومأ إليها بعينيه أن تكفَّ عن البكاء، وكأنَّه يريد القول إنَّه بخير، ثم تلمَّس

بأصابعه كفَّها باثّاً إليها حبَّه الغامر، لكنَّها لَم تكفَّ عن البكاء وهي تصرخ على السائق أن يسرعَ قدرَ ما يمكن إلى المستشفى، فقد كانت تخشى فقدانَه إلى الأبد بعدما بدا عليه ضيقُ التنفُّس والشخير، فهي لَم يتبقَّ لها في هذه الدُّنيا سواه بعد أن فقدَت أهلَها واحداً تلوَ الآخر، وبعد أن رحل عنها أولادُها إلى بلاد الغربة يبحثون عن قُوتِهم.

صحيح أنَّ الشغفَ في علاقتها بهاني قد فتر كثيراً، إلا إنَّ كثيراً مِن الألفةِ والمودَّة ما زالت تجمعهما.

وفي الطريق إلى المستشفى ركنتْ لمى خدَّها على كفها، وراحت تسبحُ في بحر مِن الذكريات، تذكَّرَت تلك اللحظة الأولى التي التقت فيها زوجها أوَّلَ مرة منذ نحو ثلاثين عاماً، وكانت حينها في العشرين مِن العمر.

كان شابّاً أبيض البشرة، ليس بطويل القامة ولا بقصيرِها، ذا شعر طويل كالحِ السواد، وعينين سوداوين، وحاجبَين كثيفَين، وأنف صغير، وأذنين صغيرتين تكادان لا تظهران للعيان.

كان ينتظرُها كلَّ يوم عند شرفة البناء، إلى أن قام مرَّة بغمزها بعينه معبّراً لها عن إعجابه.

لن تنسى كيف كان يقف على باب مدرستها الثانوية ينتظر خروجَها، ويلحقها كظلِّها إلى أن تصل بيتها، وكيف كانت تتلفَّتُ ناظرةً إليه بطرف عينها، فتهديه قبل وصولها بابَ البناء ابتسامةً خفيفة تشبعُ شغفه بها. وهكذا إلى أن يحينَ موعدُ المدرسة في اليوم التالي.

ثمَّ عادت بها السنواتُ إلى أول هاتف بينهما، وإلى أول لقاء بعيداً عن أهلها في حديقة المزرعة، حتَّى جاءت أمُّه تخطبها له بعدما حصلَت على شهادة "البكالوريا".

كذلك تذكَّرَت أيّام الخطبة الجميلة والذهاب معاً إلى السينما والقبلات المسروقة في العتمة، لتأتيَ بعدها ليلةُ زفافها.. نَعم.. لَم تغب عنها تلك اللحظات الحلوة أبداً، بل غدا استذكارُها متعةً لذيذة كما هي متعةُ رشفات فنجان قهوتها التي تتذوَّقُها كلَّ صباح.

وهكذا مرَّتِ الأيّامُ مسرعة إلى أن أصبحا وحيدَين في المنزل بعد أن فارقهما أولادُهما الثلاثة ليعيشوا خارج البلاد.

ابنان مهندسان عزبان، سامي، وداني، يعملان في الخليج، وغادة طبيبة متزوجة مِن طبيب يختصَّان معاً في أحد المشافي الألمانيَّة.

وبينما هي غارقة في بحر ذكرياتها العميق وعينُها ترنو إلى زوجها بكلِّ حبّ وحنان إذ بصوت هادر يقترب مِن سيارة الإسعاف وكأنها سيَّارة شاحنة ضخمة، فترتطم بها ثم تقلبها رأساً على عقب فوق رصيف المشاة.

انتهى في هذه اللحظة المأساوية فيلمُ ذكريات لمى، لتغيبَ عن الوعي وتجدَ نفسها ممدَّدة على سرير المستشفى ملفوفةً بالشاش القطنيّ مِن رأسها حتَّى أخمصِ قدميها.